

التحرير والتنوير

ومحل الإنكار ابتداء هو جعلهم بعض ما رزقهم الحرام عليهم . وأما عطف (حلالا) على (حراما) فهو إنكار بالتبع لأنهم لما عمدوا إلى بعض ما أحل الله لهم فجعلوه حراما وميزوه من جملة الرزق فقد جعلوا الحلال أيضا حلالا أي بجعل جديد إذ قالوا هو حلال فجعلوا أنفسهم مهيمنين على أحكام الله إذ عمدوا إلى الحلال منها فقلبوه حراما وأبقوا بعض الحلال على الحل فلولا أنهم أبقوه على الحل لما بقي عندهم حلالا ولتعطل الانتفاع به فلذلك أنكر عليهم جعل بعض الرزق حراما وبعضه حلالا وإلا فإنهم لم يجعلوا ما كان حراما حلالا إذ لم يكن تحريم في الجاهلية .

وقوله (حلالا) عطف على (حراما) والتقدير : ومنه حلالا لأن جميع ما رزقهم الله لا يعدو بينهم هذين القسمين وليس المعنى فجعلتم بعضه حراما وحلالا وبعضه ليس بحرام ولا حلال لأن ذلك لا يستقيم .

وتقديم اسم الجلالة وهو مسند إليه على خبره الفعلي في قوله (الله أذن لكم) لتقوية الحكم مع الاهتمام . وتقديم المجرور على عامله في قوله (أم على الله تفترون) للاهتمام بهذا المتعلق تشبيعا لتعليق الافتراء به . وأظهر اسم الجلالة لتحويل الافتراء عليه . وحذف متعلق (أذن) لظهوره . والتقدير : الله أذن لكم بذلك الجعل . (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون) عطف على جملة (قل أرأيتم) فهو كلام غير داخل في القول بالمأمور به ولكنه ابتداء خطاب لجميع الناس . و (ما) للاستفهام . والاستفهام مستعمل في التعجب من حالهم . والمقصود به التعريض بالمشركين ليستفيقوا من غفلتهم ويحاسبوا أنفسهم . ولذلك كان مقتضى الظاهر أن يؤتى بضمير (هم) مضافا إليه الظن إما ضمير خطاب أو غيبة . فيقال : وما ظنكم أو وما ظنهم فعدل عن مقتضى الظاهر إلى الإتيان بالموصول بالصلة المختصة بهم للتنبية على أن التردد بين أن يكون الله أذن لهم فيما حرموه وبين أن يكونوا مفتريين عليه قد انحصر في القسم الثاني وهو كونهم مفتريين إذ لا مسأغ لهم في ادعاء أنه أذن لهم فإذا تعين أنهم مفترون فقد صار الافتراء حالهم المختص بهم . وفي الموصول إيذان بعلة التعجب من ظنهم بأنفسهم يوم القيامة . وحذف مفعولا الظن لقصد تعميم ما يصلح له أي ما ظنهم بحاله وجزائهم وبأنفسهم . وانتصب (الكذب) على المفعول المطلق واللام فيه لتعريف الجنس كأنه قيل كذبا ولكنه عرف لتفطيع أمره أي هو الكذب المعروف عند الناس المستفبح في العقول .

و (يوم القيامة) منصوب على الظرفية وعامله الظن أي ما هو ظنهم في ذلك اليوم أي إذا رأوا الغضب عليهم يومئذ ماذا يكون ظنهم أنهم لاقون وهذا تهويل .
وجملة (إن ا[] لذو فضل على الناس) تذييل للكلام المفتوح بقوله (يا أيها الناس قد جاء تكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور) . وفيه قطع لعذر المشركين وتسجيل عليهم بالتمرد بأن ا[] تفضل عليهم بالرزق والموعظة والإرشاد فقابلوا ذلك بالكفر دون الشكر وجعلوا رزقهم أنهم يكذبون في حين قابله المؤمنون بالفرح والشكر فانتفعوا به في الدنيا والآخرة .

(وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتب مبين) E A